رقصة الجنُود الحُمر

د.أسماء غريب

عجيبٌ ألا تراني
وأنا أقربُ إليك من حبلِ الوريد!
ولربّما يحدُث لكَ هذا لأن جَدّي
صاحب الشموس الخمسِ الذّهبيةِ
ألبَسني ومنذ ملايين السّنين
سلهامَه الصوفيّ العظيم
أعني سلهامَ الإخفاء
المنسوج بخيوطِ أحزاب الذّكر الحكيم
عُدْ إلى البحْر الزّمردي
وحرّكْ جرسَ السؤال مرّةً ومرّاتٍ
ولا تبقَ واقفا عند برزخه الأوّل،
أعني البرزخ المالح،
غُصْ في العُمق العميقِ،
عُمق البحْر العجيبِ الحُلو المذاقِ.
ولا تقلقْ أبدا يا صغيري،
وحرّكْ الجرس مرّة ومرّات
فالجرَسُ رَسولٌ والزّمانُ نبيّ،
والسّؤال عارفٌ صبورٌ
والجوابُ حاجبٌ عظيمٌ مجهولُ العنوانِ،

يرِنُّ ويقول لكَ:

في بطن البحر المالح بحرٌ حُلْو الماءِ

والبحرُ المالح مهما عظمت حيتانُه

وكثرتْ كُنوزه فهو للسّالكين فقط

وأنتَ لست بسالكٍ ولا بمُبتدئ

وإنما رجلٌ خبير عَرفَ لُغزَ الفنَاءِ

عليكَ إذن يا صاحب المعطف الصوفي

ببحْر البَحرِ وعمْقِ العُمْق ففيهِ ضالّتُكَ.

اسمَعْ كلامَ الحاجِب إذن

ولا تسألْ عنّي أحداً في البحر

غيرَ صاحبِ القيّومية الملكِ القدّوس

السلامِ المؤمنِ المهيمنِ

لا تسألِ الأبدالَ ولا الواقفين

ولا الصّوفيين ولا العَارفين

فلا أحد منهمْ يعرف عنّي شيئا،

لأني لمْ أخالطهم في حياتيَ قَطُّ

وقد جعل القيّوم بيني وبينهمْ حجاباً

لا يصلون منه إليّ إلا بإذن منهُ

فهمْ لهم أبوابٌ

ولي باب لم يطرقْه من قبلي أحد.

وإياك، إياك أن تسألَ عني يوما النّساء،

فليسَ بيني وبينهن عَمَار

إذ لا نساء في الكون كلّه

سوى فاطمة وخديجة ومريم وآسية

والباقياتُ كلّهنّ إناثٌ

لم تخمد بعد النار الغريزية في قلوبهنّ،

إلاّ من رحم ربّي

وهنّ قليلات جدّا جدّا جدّا.

عُد إلى البحر الزمردي

وحرّكْ جرس السؤال مرّة ومرّات

وإذ تَغُصْ في عمق العمقِ

يَخْرُجْ لك جيشٌ جرّار من الجُنود المجنّحين الحُمر

وإذ تَرْقُصْ معهم رقصةَ الصّافات

أو رقصةَ الجيشِ الأحمرِ

يَقُودونَك إليّ ساعةَ بُزوغ الفَجْر القُطبيّ

وهناك، هناك فقط ستتذكّرُ يا صغيري،

أنّكَ كنْتَ ولمْ تزلْ دائما معي وفي حضرتي

أرعاكَ بعيني التيّ لا تنامُ

أبداً أبداً أبداً.